

محاضرة

آداب قضاء الحاجة

فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فأولاً أحيي الإخوة الأكارم الحضور بتحية الإسلام: سلام الله عليكم جميعاً ورحمته وبركاته. وأسأل الله -جلّ وعلا- أن يجعل لقاءنا هذا عامراً بالخير والنفع والبركة، وأن يمنّ علينا وعليكم فيه بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفّقنا لكل خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة.

أما حديثي إليكم -أيها الإخوة- فهو كما سمعتم عن «آداب قضاء الحاجة».

ومما ينبغي أن نعلمه هنا أن الحديث عن آداب قضاء الحاجة مع عظم فائدته وشدة الحاجة إليه فإنّ الحديث عنه حديث عن كمال هذا الدين وجماله، حديث عن تمام ديننا وأنه دين كامل تام لا نقص فيه بوجه من الوجوه، دين يتناول حاجات الناس جميعها فيتناول جميع مصالحهم، ليس هناك باب من أبواب الخير ولا سبيل من سبل الفلاح والصلاح إلا ودعا إليه هذا الدين الحنيف، وليس هناك باب من أبواب الشر ولا سبيل من سبل الفساد إلا نهى عنه هذا الدين وحذّر منه، دين كمال وجمال وعظمة، دين شامل، يقول -تبارك وتعالى- فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، إنّ نعمة الله -جلّ وعلا- علينا بهذا الدين عظيمة ومنته علينا بالإسلام جسيمة؛ بل إنها النعمة التي لا تعادلها نعمة، والمنة التي لا توازيها منّة؛ إذ كل خير وفلاح وصلاح وسعادة في الدنيا والآخرة مترتبة على القيام بهذا الدين زيادة بزيادة ونقصاً بنقص.

عندما نتأمل هذا الدين الحنيف نجد أنه كامل مكمّل في كل جوانبه:

عقائده التي يدعو إليها هي أصح العقائد وأقومها وأكملها.

عباداته التي يأمر بها هي أحسن العبادات وأزكاها.

أخلاقه وآدابه التي يدعو إليها هي أفضل الأخلاق وأزكاها وأكملها.

دين كامل عقيدة وعبادة وأدباً وسلوكاً من كلّ جانب.

وعندما تتأمل الأمر الذي هو موضوع حديثنا هذه الليلة (آداب قضاء الحاجة) تجد أن النبي الكريم

-صلوات الله وسلامه عليه- تناول هذا الموضوع بالبيان الشافي والإيضاح الكافي في كلّ جانب من

جوانب هذا الموضوع، بين -عليه الصلاة والسلام- بتفاصيل دقيقة وبيان عميق جزئيات كثيرة جداً

تتعلق بهذا الأمر العظيم؛ بل نستطيع أن نقول: ليس هناك أدبٌ يحتاج إليه الإنسان في قضائه لحاجته إلا ونبه عليه - صلوات الله وسلامه عليه - وأرشد إليه ودلّ أمته عليه؛ لأنه ﷺ ما ترك خيراً إلا دلّ الأمة عليه، ولا شراً إلا حذرها منه.

وعندما تتأمل التفاصيل العديدة المتعلقة بآداب قضاء الحاجة مما بسطه العلماء وذكروا أدلته في كتب الحديث وكتب الأحكام تجد في ذلك ما يرشدك إلى جمال هذا الدين.

ولهذا أيضاً من الفوائد المهمة التي نفيدها في بابنا هذا أنّ تعليم الناس آداب قضاء الحاجة فيه دعوة لهذا الدين ودعوة للتمسك به وتعريف بجماله وحسنه وبهائه وإشعار للمسلم بعظيم نعمة الله - تبارك وتعالى - عليه عندما دلّه من خلال هذا الدين إلى الآداب التي ينبغي أن يراعيها عند قضائه لحاجته.

وإي والله إنها لنعمة؛ عندما ترى هذا الأدب الذي هُديت إليه من خلال هذا الدين عند قضائك لحاجتك، وتقارن ذلك بحال الناس الذين لا دين لهم ولا يعرفون الإسلام ولا يعملون به، تجد أن تلك الأمة أمة همل أشبه بالأنعام، في غاية القذارة وتمام النجاسة وقمة الوسخ والبعد عن التنزه والنظافة، وهذه سمة غالبية وعامة في الكفار، حتى إنّ الكثير من هؤلاء لا يطاق الجلوس إلى جنبه لتتن رائحته؛ بل إنّ بعض الدول عمدت إلى صناعة أنواع من الطيب نافذة وقوية الرائحة ليتلافوا فيها نتن رائحتهم. أمّا المسلم بتلك الآداب السامية والقيم العظيمة والخلال الكريمة التي هُدي إليها من خلال هذا الدين يعيش في كمال النظافة وقمة النزاهة وتمام الطهر، فهذه نعمة عظيمة وهي مفخرة للمسلم ومفخرة للإسلام.

جاء نفر - كما في «صحيح مسلم» - جاء نفر من المشركين إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقالوا له على وجه التهكم والسخرية والاستهزاء: إنّ نبيكم علّمكم كلّ شيء حتى الخراءة - والمقصود بقولهم (حتى الخراءة) أي الهيئة التي يجلسها الإنسان عند قضائه لحاجته - فماذا قال سلمان؟ - وهذه كما ذكرت لكم تعدّ مفخرة للمسلم - فقال سلمان: أجل، "نعم علّمنا كل شيء حتى الخراءة"، مفخرة للمسلم ومنقبة، قال: "أجل نهانا..". أخذ يعدد بعض الآداب وقليلًا من القيم التي دلّ إليها المسلم عند قضاء حاجته، قال: "نهانا أن نستقبل القبلة ببول أو بغائط، وإذا استنجى أحدنا أن لا يستنجي بيمينه، وإذا استنجى أحدنا أن يستنجي بثلاث أحجار، وأن لا يستنجي بعظم ولا رجيع" ^(١)، هذه بعض الآداب

(١) مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم (٢٦٢).

وليست كل الآداب، فهو يعدّها على وجه الافتخار وذكر المناقب مناقب هذا الدين الإسلام، فكيف إذا تعمّق المسلم ودخل بمعرفة التفاصيل العديدة التي دلّ إليها الإسلام وأرشد إليها هذا الدين، أرشد إليها المسلم عند قضائه لحاجته.

ولهذا - أيها الإخوة - أذكركم ونفسي بين يدي هذا الموضوع العظيم أن نستشعر جميعاً نعمة الله علينا بهذا الدين، حيث دلّنا فيه إلى كلّ أدب عظيم وكل خلق قويم وكل معاملة حسنة، أرشدنا فيه إلى أصحّ العقائد وأحسن العبادات وأتم الآداب والأخلاق.

ومن الفوائد العظيمة التي نستفيدها من موضوعنا هذا (آداب قضاء الحاجة) أنّ ديننا ليس فيه نقص لا في العقيدة ولا في العبادة ولا في الآداب، كامل مكمل لا نقص فيه؛ لأنه إذا كان - صلوات الله وسلامه عليه - دلّ الأمة بتفصيل دقيق إلى الآداب التي ينبغي أن يتحلوا بها عند قضاء الحاجة إذا كان دلّهم إلى ذلك وأرشدهم إليه فإنه من باب أولى وأحرى أن يكون قد بين لهم بالدقة الكاملة والبيان الشافي ما يتعلق بالعبادات وما يتعلق بالعقائد.

وهنا تأتي كلمة الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيث يقول: "محال أن يكون النبي ﷺ بين لأمته آداب قضاء الحاجة ولم يبين لهم التوحيد"، هذا محال.

آداب قضاء الحاجة وهي أمور تتعلق بالفروع والأحكام وتتعلق بالآداب بينها - صلوات الله وسلامه عليه - على وجه التفصيل، فهل من الممكن أن يكون كذلك في بيانه لآداب قضاء الحاجة ويترك ما يتعلق بالاعتقاد وأصول الدين وتوحيد الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يترك هذا الأمر دون بيان؟!

وهذا نحن نستفيد منه فائدة عملية في حياتنا وهو أهمية ارتباط المسلم بالكتاب والسنة في العقيدة وفي العبادة وفي الآداب، دينٌ كامل، فالمسلم ليس عليه إلا أن يرتبط بكتاب الله وسنة نبيه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لينال بارتباطه به أصحّ العقائد وأحسن العبادات وأزكى الآداب.

وهنا أيضاً نقول: كيف يليق بمسلم أرشد في دينه إلى هذه الآداب العظيمة والقيم الرائعة كيف يليق أن يُيَمَّم وجهه هنا وهناك يبحث عن قيم وآداب خارج الإسلام وخارج دائرة هذا الدين، وهذا من النكوص على العقبين، الله - جلّ وعلا - يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ عَائِي تَتَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ ٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٦٩ [المؤمنون]، وهذه الآية فيها الدلالة على أهمية الارتباط بالكتاب والسنة ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ هذا الكتاب ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ هذا السنة ومعرفة هدي خير الأمة -

صلوات الله وسلامه عليه.

فهذه تمهيدات مهمة ومقدمات مهمة بيدي هذا الموضوع.

أمّا الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة والتي أرشد -صلوات الله وسلامه عليه- فهي كثيرة جدّاً، وسأذكر جملة كبيرة منها وطائفة عظيمة من هذه الآداب وسأراعي في ذلك الترتيب من حيث دخول الإنسان وصفة قضائه للحاجة وانتهائه منها وسائر الأعمال المتعلقة بذلك مما جاء في سنة النبي الكريم -عليه أفضل الصلاة والسلام.

فأولاً: من السنة عندما يدخل الإنسان المكان الذي يقضي فيه حاجته أن يقدم قدمه اليسرى؛ لأنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- كما سيأتي معنا في بعض النصوص يحب التيامن في الأمور الطيبة؛ في تنعله وترجله ودخوله إلى المسجد وطعامه وشرابه ونحو ذلك، وأمّا الأمور التي خلاف ذلك فإنه يقدم فيها اليسار.

فإذا دخل الإنسان لقضاء الحاجة يقدّم قدمه اليسرى، إذا دخل المسجد يقدم قدمه اليمنى؛ لأنه داخل إلى مكان طاعة ومحلّ عبادة، بينما إذا خرج من المسجد يقدّم قدمه اليسرى؛ لأنه خرج من الفاضل إلى المفضول. فهذا من السنن التي ينبغي أن يراعيها، إذا خرج من مكان قضاء الحاجة؛ يقدّم قدمه اليمنى.

ومن الآداب عند الدخول أن يُسمّي، أن يدخل بـ"بسم الله"، و"بسم الله" يشرع إتيانها في مواضع كثيرة، عند قراءة القرآن، وفي بداية الخطب أو الدُّروس، وفي الكتابة، وفي نحو ذلك يشرع للمسلم أن يبدأ بـ"بسم الله" ويراعي في البسملة حال الأمر الذي هو فيه، يعني يقدر حال الأمر الذي هو فيه، هي استعانة لكن إن كان بسملة عند الكتابة فيقدر: بسم الله أكتب، وإذا كان بسملة في أوّل الرُّكوب: بسم الله أركب، وفي الخروج: بسم الله أخرج، يقدر فعلاً يتناسب مع حاله.

فهنا يدخل لمكان قضاء الحاجة فيقول: بسم الله؛ يعني مستعيناً بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سائلاً إياه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الحفظ والوقاية، بسم الله.

جاء في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً وهو في سنن ابن ماجه قال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الخلاء أن يقول: بسم الله»، وهذا الحديث صححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمجموع طرقه كما في كتابه القيم «إرواء الغليل»^(١).

(١) سنن الترمذي: كتاب الجمعة، باب ما ذكر في التسمية عند دخول الخلاء، حديث رقم (٦٠٦). سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها،

باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، حديث رقم (٢٩٧). وفيه (الكنيف) بدل الخلاء. وصححه الألباني في الإرواء (٨٧/١) برقم (٥٠).

ومن الآداب أن يتعوذ عند دخوله للخلاء من الخُبث والخبائث، لِمَا ثبت في «الصَّحِيحِينَ» عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه إذا دخل الخلاء يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(١) والخُبث جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة، وقيل في معنى ذلك: أي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَهُمْ ذَكَرَانِ الْجَنِّ، وَالْخَبَائِثُ إِنَاثُهُ، وقيل أوسع من ذلك: أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ: كل أمر خبيث، والخبائث: كل الأمور الخبيثة. فيستعيذ بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من ذلك كله.

و(الاستعاذة) كما تعلمون: اعتصام بالله والتجاء إليه ﷻ، والمسلم ينبغي أن يكون دائماً ومعتصماً بالله ملتجئاً إليه، ولهذا تشرع الاستعاذة في أماكن كثيرة جاءت بها سنة النبي ﷺ، حتى إن الإمام النسائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عقد في كتابه السنن كتاباً بعنوان (الاستعاذة) كتاب عظيم جداً، وأورد فيه أحاديث كثيرة جداً فيما يستعاذ بالله -تبارك وتعالى- منه، ومن ذلك الاستعاذة عند دخول الخلاء.

ثم ثالثاً: من الآداب ممكن أن نجمع بين الحديثين السابقين (البسملة والاستعاذة) عند الدخول أقول: «بسم الله، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» وبعض الناس قد يزيد على ذلك ألفاظاً أخرى وهذا ليس من اللائق بالمسلم؛ لأنَّ السُّنَّة جاءت تامة مكملّة، وهدي النبي ﷺ أكمل الهدي وأعظمه، فالواجب الاقتصار على ما جاء عنه ﷺ وثبت في سنته الصحيحة صلوات الله وسلامه عليه، فعند الدخول أقول: «بسم الله، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ».

من الآداب: الاستتار، أن يستتر لأنه يحتاج عند قضاءه لحاجته إلى ككشف العورة المغلظة ولهذا لا بد أن يستتر وأن يتوارى عن أعين الناس.

وقد جاء عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في هذا الباب، منها حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ (أنه كان إذا ذهب المذهب أبعد)^(٢) يعني إذا ذهب إلى قضاء الحاجة أبعد، وهذا عندما يكون الإنسان يقضي حاجته في الصحراء أو الأماكن المكشوفة ونحو ذلك، فيبعد حتى يتوارى عن أعين الناس، إمّا أن يذهب وراء تل أو وراء شجرة أو كثيب من الرمل أو نحو ذلك أو يبتعد عنهم، فكان إذا ذهب المذهب أبعد.

وفي حديث جابر بن عبد الله: «كان إذا أراد البراز - يعني أراد قضاء الحاجة - انطلق حتى لا يراه

(١) البخاري: كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، حديث رقم (١٤٢). مسلم: كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء،

حديث رقم (٣٧٥).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء أن النبي ﷺ كان إذا أراد قضاء الحاجة أبعد المذهب، حديث رقم (٢٠).

أحد^(١) وهذا نظير الحديث السابق وكلاهما في سنن أبي داود بسند ثابت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وجاء من حديث ابن عمر أَنَّ النبي ﷺ «**كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً لَا يَرْفَعُ ثُوبَهُ حَتَّى يَدْنُو مِنَ الْأَرْضِ**»^(٢) وهذا من الآداب التي أرشد إليها هدي النبي الكريم -عليه أفضل الصلاة والسلام-، لا يرفع ثوبه عندما ينزل لقضاء حاجته حتى يدنو من الأرض، لماذا؟ لأنه لو رفع ثوبه قبل أن يدنو من الأرض تنكشف عورته حتى للبعيد عنه، ولهذا من تمام السر وكمال الأدب في المسلم عند جلوسه لقضاء الحاجة ما يرفع ثوبه إلا إذا دنى من الأرض كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

الأمر الرابع من آداب قضاء الحاجة: عدم البول في طريق الناس المسلوك أو الظل الذين ينتفعون به. وقد جاء في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: «**اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ**» قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «**الَّذِي يَخْتَلِي فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ**»^(٣) قال أهل العلم: وُصِفَ بذلك لأنه فعل ما يتعرض به للعن الناس أو لعن بعض الناس، عندما يأتي إلى مكان ظليل يجلس فيه الناس فيقضي فيه حاجته، فإذا جاؤوا إلى ذلك المكان في شدة القائلة ليستظلوا به ووجدوا هذا الوسخ يتأذون منه، وربما أن بعضهم قد يقول: لعن الله فاعل ذلك، مع أن المسلم ليس باللعان كما في الحديث الصحيح عن النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لكنه عَرَّضَ نفسه لذلك عندما يضع حاجته في ظل الناس أو في الطريق الذي يسلكه الناس.

وهذا فيه إرشاد إلى أن المسلم ينبغي أن يراعي حقوق إخوانه وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، لو تأمل هو في نفسه الذي يحبه لنفسه عندما يأتي لهذا المكان أن لا يرى فيه الأذى، فكيف يضع الأذى لإخوانه؟! وفي الحديث يقول -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ**»^(٤) أي من الخير.

ومن الآداب: عدم البول، وهذا الأدب الخامس، عدم البول وسط القبور أو وسط السوق، السوق

(١) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب التخلي عند قضاء الحاجة، حديث رقم (٥٢)، قال الألباني: صحيح.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب التكشف عند الحاجة، حديث رقم (١٤).

(٣) مسلم: كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، حديث رقم (٢٦٩).

(٤) البخاري: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

ومن الآداب عند قضاء الحاجة الاستنزاه من البول، أن يستنزّه من البول ومن رشاشه أو أن تصل إليه النجاسة إلى بدنه أو أن يطير عليه من رشاش البول أو نحو ذلك، يستنزّه من البول عند قضائه لحاجته.

جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ على قبرين وقال: «**أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزّه من لبول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس**»^(١) فمن أسباب عذاب القبر عدم التنزه من البول، ومن أسباب أيضًا عذاب القبر المشي بالنميمة بين الناس، وفي هذين الأمرين من الإثم ومما يتعرض المسلم بفعله له إلى العقوبة.

الأمر التاسع من آداب قضاء الحاجة: عدم مسّ الذكر باليمين. وهذا مرّ علينا في حديث سلمان الفارسي المتقدم وهو في «صحيح مسلم». ^(٢) وجاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بال أحدكم فلا يمسك ذكره بيمينه**»^(٣) وهذا من الآداب العظيمة التي دعا إليها هذا الدين العظيم، «**إذا بال أحدكم فلا يمسك ذكره بيمينه**» إذا مسّ ذكره بيمينه قد يقع في يده شيء من النجاسة أو تبقى، وقد يصفح غيره وقد يتناول طعامه أو نحو ذلك من الأعمال، إضافة إلى ما سبق معنا أن النبي ﷺ يجعل اليمين للأموال الطيبة واليسار لما سوى ذلك.

قد جاء في الحديث عن حفصة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل شماله لما سوى ذلك.^(٤)

الأمر العاشر من آداب قضاء الحاجة: ألا يردّ السلام حال قضاء الحاجة. ففي «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مرّ رجل بالنبي ﷺ فسلم عليه وهو يقول فلم يردّ عليه السلام.^(٥) فحال قضاء الحاجة أو وقت قضاء الحاجة ليس وقت ذكر والسلام ذكر ودعاء، ولهذا لا يُسلم ابتداءً على من يقضي حاجته، وإذا سلم عليه فإنّ السنة أن لا يردّ على من سلم عليه السلام كما فعل النبي ﷺ، وفي هذا أيضًا دلالة على أن الذي يقضي حاجته لا يتكلم معه، كما أنه لا يسلم عليه لا يتكلم معه حتى يقضي حاجته فإذا

(١) البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، حديث رقم (٢١٨). مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على النجاسة البول ووجوب الاستبراء، حديث رقم (٢٩٢).

(٢) انظر الصفحة (٣)

(٣) مسلم: كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، حديث رقم (٢٦٧)

(٤) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء، حديث رقم (٣٢). قال الألباني: صحيح.

(٥) البخاري: كتاب التيمم، باب التيمم في الحضرة إذا لم يجد الماء...، حديث رقم (٣٣٧). مسلم: كتاب الحيض، باب التيمم، حديث رقم

قضى حاجته وانتهى يسلم عليه ويتكلم معه.

الأمر الحادي عشر: الاستنجاء بالماء أو الاستجمار بالأحجار - كما سيأتي -، وكل منهما مجزئ سواء استنجى بالماء أو استجمر بالأحجار أو نحو ذلك، كل ذلك مجزئ وكافي، لكن الأكمل والأطيب أن يستنجي بالماء إن تيسر. وقد جاء في «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الخلاء فأحمل أنا و غلام إداوة من ماء وعنزة فيستنجي بالماء.^(١) فهذا فيه بيان هديه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

والاستنجاء أو الاستجمار إنما يشرع إذا كان هناك خارج من السيلين كأن يكون أراد الوضوء لنومه مثلاً أو أراد الوضوء لكونه خرج منه ريح أو نحو ذلك، فهذا لا يشرع فيه الاستنجاء ولا الاستجمار. قد جاء عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال - ما معناه: لا أعلم سنة أو آية أو حديثاً في الاستنجاء من خروج الريح، ولهذا إذا خرج من الإنسان ريح أو نام أو أكل لحم جزور أو نحو ذلك فإنه يتوضأ دون أن يستنجي أو يستجمر.

وذكر أن الاستنجاء بالماء أكمل، قد دلّ على ذلك بعض النصوص منها ما ثبت في «سنن أبي داود»، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**نزلت هذه الآية في أهل قباء**» فيه رجال يُجْبُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا [التوبة: ١٠٨]، **كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية**،^(٢) وهذا الحديث يدل على أن الاستجمار مجزئ وكاف؛ لكن الاستنجاء أكمل، ولهذا مُدِّح أهله، ولو كان الاستجمار لا يجزئ لمُنْع عنه ونُهي عنه.

قد جاءت نصوص خاصة به دالة عليه، منها حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار - أي ليستجمر بثلاثة أحجار - فإنها تجزئ عنه**»^(٣) والثلاثة أحجار هي أقل الواجب عندما يستجمر الإنسان، قد مرّ معنا في حديث سلمان: "إذا استجمر أحدنا أن لا يستجمر بأقل من ثلاث"، فهذا أقل الواجب، وإذا حصل باستجماره بثلاث إنقاء للمكان فإنه يكتفي بها، وإن لم يحصل إنقاء للمكان فإنه يزيد، ومن السنة أن يختم بالوتر؛ كأن يستجمر بخمس أو سبع أو

(١) البخاري: كتاب الوضوء، باب حمل العنزة مع الماء في الاستنجاء، حديث رقم (١٥٢). مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء من التبرز، حديث رقم (٢٧١).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء، حديث رقم (٤٤). قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة، حديث رقم (٤٠).

تسع بحيث يحصل الإنقاء وتذهب النجاسة في مكان البول أو في مكان الغائط، وفي حكم الأحجار الأوراق التي ليس فيها كتابة أو المناديل الورقية أو اللبن من الطين إذا كان جافاً وناشفاً فكل ذلك يشملته الحكم؛ لكن لا يستنجي بعظم أو روث، وهذا أدب آخر من آداب قضاء الحاجة، وقد مر معنا دليلاً في حديث سلمان.

قد جاء في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن**».^(١)

وجاء في حديث آخر في سنن أبي داود: أن وفداً من الجن أتوا النبي ﷺ وقالوا له: إنه أصحابك أن يستنجوا بالعظم أو الروث فإن لنا فيه رزقا.^(٢)

وإذا كان لا يجوز الاستنجاء بالعظم أو الروث لأنه زاد إخواننا من الجن فإنه كذلك لا يجوز أن يستجم الإنسان بطعام الإنسان؛ بل إن ذلك محرّم، لا يجوز أن يستعمل الطعام كالخبز أو نحو ذلك - والعياذ بالله - لإنقاء المكان.

الرابع عشر من آداب قضاء الحاجة: أن يقول عند خروجه من المكان الذي قضى فيه حاجته: «**غفرانك**» لثبوت ذلك عن النبي ﷺ «**غفرانك**»^(٣) ولا يزيد على ذلك، بعضهم: غفرانك ربنا وإليك المصير؛ يكمل الآية التي في سورة البقرة، الواجب ألا يزيد على ذلك؛ لأنه لو كانت الزيادة مشروعة لدلّ إليها النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وإذا قضى حاجته وخرج يقول: «**غفرانك**» لماذا؟ يقول العلماء - ومنهم ابن القيم رحمه الله -: لأنّ المسلم لله عليه في قضاء حاجته نعم كثيرة؛ يسر له الطعام وانتفع جسمه بالطعام ثم يسر له خروج هذا الطعام لأنه لو بقي وقتاً في جسمه دون أن يخرج لأمرضه بل لقتله وأماته.

ولهذا من نعمة الله العظيمة على الإنسان خروج البول والغائط بعد أن يستفيد الإنسان أو يستفيد

(١) مسلم: كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة، حديث رقم (٤٥٠)، واللفظ في سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب كراهية ما يستنجى به، حديث رقم (١٨).

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب ما ينهى عنه أن يستنجى به، حديث رقم (٣٦).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، حديث رقم (٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، حديث رقم (٣٠٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

الجسم من المادة الغذائية المتوفرة في الأطعمة والأشربة التي يتناولها، ثم ما سوى ذلك يخرج ولا يبقى في جسم الإنسان، لأنه لو بقي لتأذى منه وتضرر؛ بل لو طالت المدة لمات الإنسان وأنتن جسمه، وهذه نعمة عظيمة يعجز الإنسان عن شكرها، ولهذا شُرع له أن يقول عند خروجه: «**غفرانك**» أي أستغفرك يا الله لعجزتي وتقصيري وقصوري في شكر نعمك، فيقول عند الخروج: «**غفرانك**» كما أرشد إلى ذلك النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

جاء في حديث آخر عن أنس - وهو في «سنن ابن ماجه» - قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء يقول: «**الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني**»^(١) ولكن الحديث ليس ثابتاً عن النبي ﷺ لضعف إسناده إلى النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كما نبّه على ذلك أهل العلم، ولهذا يكتفي المسلم عند الخروج بأن يقول: «**غفرانك**» لثبوت ذلك عن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

في كتب الفقه أرشد أهل العلم إلى جملة من الآداب التي تُفعل عند قضاء الحاجة؛ لكن لم يثبت بها حديث صحيح عن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لكنها من حيث الجملة أو من حيث المعنى صحيحة وترشد إليها النصوص عامة، من ذلك:

اختيار الموضع، جاء في سنن أبي داود من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أرشد إلى أن يتخير الإنسان مكاناً لقضاء حاجته بحيث يكون مكان طرياً أو ليناً،^(٢) وذلك من أجل أن الإنسان إذا بال فإذا كان المكان ليناً أو طرياً لا يرتد عليه رشاش البول، بينما إذا كان المكان صلباً فربما يتطاير عليه البول، فهذا من حيث المعنى صحيح، اللائق والأكمل بالمسلم حتى يستنزّه من بوله أن يختار المكان، ولو كان الحديث ضعيفاً؛ لكن الأحاديث الأخرى التي مرّت معنا الدالة على الاستنزاه من البول تدل على ذلك؛ يختار الإنسان مكاناً طرياً بحيث إذا بال لا يتطاير عليه البول؛ لكن لو كان يبول على مكان صلب ربما أن رشاش البول يتطاير عليه.

وكذلك لا يستقبل مهبّ الريح إذا كان الهواء شديداً، فإذا جلس الإنسان لقضاء الحاجة ويستقبل مهبّ الريح ارتدّ عليه، فالأحاديث التي فيها الاستنزاه من البول والتأكيد عليه دالة على أن الإنسان لا يفعل ذلك، فكل شيء فيه وقاية من هذا الأمر يفعلُه الإنسان لعموم النصوص.

ومن - أيضاً - الأمور التي ذكرها أهل العلم: ألا يبول في الجحر، الجحور التي تكون في الأرض

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، حديث رقم (٣٩١). قال الألباني: ضعيف.

(٢) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب الرجل يتبوأ لبوله، حديث رقم (٣)، وضعفه الألباني.

للدواب والهوام ونحو ذلك، وهذا جاء فيه حديث ضعيف الإسناد في سنن أبي داود؛ لكنه من حيث المعنى صحيح^(١)، ولأنه قد إذا بال في الجحر قد يخرج عليه منه شيئاً مما في داخل الجحر، إما عقرب أو حيّة أو شيء من ذلك، فهذا فيه وقاية للإنسان فالبعد عنه أولى وأكمل وأسلم.

أيضاً من الأمور التي ذكروها ولم أقف على حديث صحيح: عدم مكث الإنسان في المكان الذي يقضي فيه الإنسان حاجته، لا يمكث في المكان وإنما يقضي حاجته، وإذا انتهى من قضاء الحاجة يقوم وينصرف، فهو مكان لقضاء الحاجة ليس مكاناً للمكث، فإذا قضى الإنسان حاجته وانتهى ينصرف من مكانه فهذا من حيث المعنى صحيح.

ثم أيضاً من الأمور التي ينبغي أن يلاحظها في هذا المقام أن يتجنب الوسواس وأن لا يفتح على نفسه عند قضائه لحاجته باباً للوسواس، والشيطان له مداخل كثيرة جداً على الإنسان، ومن مداخله عليه أن يدخل عليه من باب قضاء الحاجة والتنزه من البول فيصل به إلى درجة المغالاة، ولهذا ربما بعض الناس بسبب الوسواس قد يمكث في الحمام الساعة ثم يخرج والوسواس عالق به ويرجع مرة ثانية ويفعل أموراً كثيرة عجيبة وغريبة جداً كلها ناشئة من الوسواس.

وقد ذكر ابن القيم رحمته الله في كتابه: «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» وهو كتاب عظيم مداخل كثيرة للشيطان على الإنسان منها مدخله عليه عند قضائه للحاجة وذكر أنه بعضهم بسبب الوسوسة يفعل أموراً كثيرة، ذكر ابن القيم عشرة منها يفعلونها كلها مبالغة في التنزه مبالغة لا أصل لها ولا أساس، منها: النتر والسلت والقفز والدرجة والحبيل، أشياء غريبة جداً يفعلها بعض الناس من باب النتر: يعني إذا بال ينتر ذكره بحيث يؤكد على خروج مافيه، والسلت: يمسكه من أصله ويسلت مابه من ماء، والقفز: بعد أن يبول يقفز قفزات ثنتين أو ثلاث بحيث يمكن للبول من النزول، والحبيل: بعضهم يربط حبالاً في سقف المكان الذي يقضي به حاجته ثم يتعلق به ويشد جسمه إلى أعلى بحيث يشد الجسم ليتمكن البول أو الماء من النزول، والدرجة: بعضهم يرى الأكل له أن يصعد بعد البول درجة وينزل منها بسرعة بحيث هذه الحركة في الصعود والنزول تساعد على نزوله... وذكروا أشياء، والوجور: بعد قضاء الحاجة يأتي بمنديل ويلفه ويدخله في الفتحة بحيث لا يخرج... وأشياء يفعلونها كلها من قبيل الوسوسة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ (١) مَلِكِ النَّاسِ ۝ (٢) إِلَهِ النَّاسِ ۝ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

(١) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الجحر، حديث رقم (٢٩)، وضعفه الألباني.

النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ [سورة: الناس] قال ابن القيم: "وسألت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: كُلُّهُ مِنَ الْبَدْعِ وَكُلُّهُ مِنَ الْوَسْوَسةِ، فَقَالَ: فَاسْتَفْصَلْتُهُ فِي النَّتْرِ وَالسَّلْتِ - لِأَنَّهُ وَرَدَ فِيهِمَا حَدِيثَانِ ضَعِيفَانِ - قَالَ: هُوَ بَدْعَةٌ لَمْ يَثْبُتْ بِهِ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فإن صحت العبارة يعني أشد ما عندهم أو أقوم ما عندهم في هذا الباب (النتر والسلت) قد جاء فيه حديث لا يثبت عن النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وكل هذه الأمور من الوسوسة وهي من مداخل الشيطان على الإنسان"، ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم كلمة جميلة في هذا الباب قال: "البول شأنه مثل الضرع - ضرع أو الثدي الذي به الحليب - فالضرع إن حلبته درّ وإن تركته قرّ" هكذا كان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا يزال الضرع كل ما حلبته يخرج منه إما كثير أو قليل وإن تركته قرّ في مكانه، وهكذا الشأن بالنسبة للبول؛ إن تركه الإنسان قرّ، يعني إذا قضى حاجته وتركه يقرّ حتى وإن كان لا يزال فيه بقية يقرّ في مكانه، وإذا أخذ يفعل هذه الأمور التي يفعلها هؤلاء بالسلت والنتر وما إلى ذلك، ربما أنه مع هذه الحركات لا يزال يخرج، ربما أنه يجلب لآلته شيء من الأمراض والأضرار بسبب هذه الوسوس، ولهذا يتجنب المسلم ذلك كله.

ولا يزال إلى وقتنا هذا أناس يتلون بمثل هذه الوسوس، وإذا قضى الإنسان حاجته وأنقى المكان وانقطع البول يستنجي أو يستجمر ثم يرش على المكان شيئاً من الماء وينصرف ولا يلتفت بعد ذلك إلى الأمر، وإذا فتح لنفسه باباً للالتفات والتفكير أو ما إلى ذلك يدخل في وسوس لا خطام لها ولا زمام ولا نهاية لها.

ثم - أيضاً - من الأمور التي ينبغي أن يراعيها المسلم عند قضاء الحاجة ولا سيما في الذي توفر الآن في زماننا ما لم يتوفر في الأزمان السابقة: وهي الكنك والحمامات التي في البيوت وهذه نعمة عظيمة ومنّة كبيرة، كان - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كما في «سنن أبي داود»: كان له وعاء عند فراشه يبول فيه بالليل؛^(١) لأنه قد لا يتهيأ للإنسان أن يخرج إلى الخلاء لقضاء حاجته، فالإنسان الآن قد أنعم الله علينا بنعم عظيمة في البيت الواحد أكثر من مكان لقضاء الخلاء ومكان نظيف ومعتنى به، وبعض الناس يبالغون مبالغة زائدة في زخرفته وتأنيقه وتجميله كأنه مكان للجلوس، فالشاهد أنه توفرت في البيوت وفي المساجد أماكن لقضاء الحاجة، وينبغي أن يُعرف هذا المكان أنه مكان لقضاء الحاجة ليس مكان لقضاء أمر آخر غير ذلك.

(١) سنن أبي داود: كتاب الطهارة، باب في الرجل يبول بالليل في الإناء ثم يضعه عنده، حديث رقم (٢٤). قال الألباني: حسن صحيح.

والذي أريد أن أنبه عليه هنا أن بعض الناس أو بعض السفهاء عندما يدخل إلى هذا المكان الذي هو مكان لقضاء الحاجة بعد أو قبل أن يقضي حاجته ينشغل بالكتابة على جدار الحمام يكتب إما يمزح أو يسب أو يعلّق أو ما إلى ذلك.. كتابات كثيرة، حتى إن بعض الحمامات من أراد أن يكتب لا يجد مكاناً يكتب فيه، يعني من أراد من السفهاء الآخرين أن يكتب ما يجد مكان لأنها امتلأت تمامًا من الكتابات، وهذا العمل فيه دلالة على أمرين واحفظوهما:

○ على نقص عقل فاعله.

○ وسوء أدبه.

أما نقص عقله فإنه حينما كتب لا يدري أين هو؟ هذا مكان قضاء الحاجة مكان للتغوط والتبول وقضاء الحاجة، هذا هو المكان الذي هو فيه، ليس مكان كتابة أو قراءة أو نحو ذلك، مكان لقضاء الحاجة، يقضي الإنسان حاجته ويخرج بمجرد قضاء الحاجة، فهذا ناقص عقل، الذي يجلس في هذا المكان يقف طويلاً يكتب كلمات - هذا بقطع النظر عن ماذا يكتب - أما إذا كان يكتب شتمًا للآخرين أو سبًا لهم أو نحو ذلك هذا إثم على إثم، وسوء على سوء، وبلاء على بلاء، فهذا ناقص عقل. وسوء أدب؛ لأنه لم يتأدب مع إخوانه المسلمين عندما جعل هذا المكان بهذه الطريقة المشوهة بالكتابة.

وحقيقة هذه من المناظر المؤسفة والصور المزرية التي تنتشر في كثير من الأماكن من سفهاء العقول وناقصي الآراء والتفكير، يكتبون كتابات كثيرة على جدران الحمامات أو أبواب الحمامات، يكتبون عليها كتابات كثيرة، فهذه من الأمور التي يُحذر ويُحذر منها. على كلّ حال هذه بعض الآداب التي تيسر الإشارة إليها في هذه الكلمة حول (آداب قضاء الحاجة)، ومن خلالها - كما أشرت - نستشعر كمال هذا الدين وعظم شأنه وجلالة قدره وشموله لكلّ جانب من جوانب الحياة.

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ويرضاه على أن جعلنا مسلمين، ونسأله - تبارك وتعالى - أن يزيد علينا وعليكم من فضله وأن يوفقنا وإياكم لكل خير يحبه الله ويرضاه في الدنيا والآخرة. ونسأله - جلّ وعلا - أن يصلح لنا ولكم ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر إنه - تبارك وتعالى - وليّ ذلك والقادر عليه.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله.

الفهرس

المقدمة.....	٢
أهمية الحديث عن آداب قضاء الحاجة.....	٢
الآداب المتعلقة بقضاء الحاجة.....	٥
أولاً: تقديم القدم اليسرى عند الدخول واليمينى عند الخروج.....	٥
ثانياً: التعوذ و قول (بسم الله) عند الدخول.....	٥
ثالثاً: الاستتار عند قضاء الحاجة.....	٦
رابعاً: عدم البول في طريق الناس.....	٧
خامساً: عدم البول وسط القبور ووسط السوق.....	٧
سادساً: عدم البول في الماء الراكد.....	٨
سابعاً: عدم استقبال واستقبال القبلة.....	٨
ثامناً: الاستنزاه من البول.....	٩
تاسعاً: عدم مس الذكر باليمين.....	٩
عاشراً: عدم رد اللام أثناء قضاء الحاجة.....	٩
الحادي عشر: الاستنساء بالماء أو الاستجمار بالأحجار.....	١٠
الثاني عشر: لا يشرع الاتنجاء من خروج الريح.....	١٠
الثالث عشر: عدم الاستنجاء بالروث والعظام ومن باب أولى طعام الإنس.....	١١
الرابع عشر: قول (غفرانك) عند الخروج من قضاء الحاجة.....	١١
جملة من الآداب ذكرها أهل العلم في كتب الفقه.....	١٢
منها: اختيار الموضع.....	١٢
منها: لا يستقبل مهب الريح.....	١٢
منها: أن لا يبول في الجحر.....	١٢
منها: عدم المكث في المكان الذي يقضي فيه حاجته.....	١٣
منها: تجنب الوسوس.....	١٣
تنبيه: على بعض أعمال بعض السفاء وناقصي العقول عند قضاء الحاجة.....	١٥
الفهرس.....	١٦

